علامات حسن الخاتمة

الموت: خلق من خلق الله تعالى. هو هادم اللذات ومفرق الجماعات.
{تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ } [الملك: ١، ٢]
وقال ابن الجوزيّ: الموت: "حادث تزول معه الحياة". فهو هدم لهذه الحياة الدنيا فمع الموت تنقطع الحياة مع الخلق وتبدأ حياة جديدة مع رب الخلق.
ودخل الحسن على رجل يجود بنفسه، فقال: إن أمرا هذا أوله لجدير أن يتقى آخره، وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد أوله]ينظر: إحياء علوم الدين: ٤٨٢/٤ [يعني يقول: الموت إذا هذا أوله، جدير أن يتقى ما بعده، والدنيا إذا هذه آخرتها جديرة أن يزهد بها، يزهد فيها.
وهناك علامات وضعها الشارع تدل على حسن الخاتمة وهي كثيرة :
وقد تكلمنا على الشهادة قبل ذلك وهي من أجل علامات حسن الخاتمة .
ومن هذه العلامات:

نطقه بالشهادة عند الموت .

قال صلى الله عليه وسلم: " من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة".
ـ عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: " إلا أني سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ما منعني أن أسأله عنه إلا القدرة عليه حتى مات، سمعته يقول: إني لاعلم كلمة لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفس الله عنه كربته، قال: فقال عمر: إني لاعلم ماهي! قال: وما هي؟ قال: تعلم كلمة أعظم من كلمة أمر بها عمه عند الموت: لا إله الله؟ قال طلحة: صدقت، هي والله هي ".
سعيد بن المسيب، عن أبيه، قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا عم، قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله "، فقال أبو جهل، وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله عز وجل: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم} [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله تعالى في أبي طالب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين} وثبت أنه في ضحضاح من نار يغلي منها دماغه.
وعلى الطرف الآخر:
أنس رضي الله عنه قال: " كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده؟ فقال له أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: الحمد لله الذي أنقذه من النار، (فلما مات، قال: صلوا على صاحبكم) ".
قال الحافظ أبو جعفر محمد بن علي التستري ورّاق أبي زرعة: حضرنا أبا زرعة (من الاحتضار)، وكان في السَّوق، وعنده أبو حاتم، ومحمد بن مسلم، والمنذر بن شاذان، وجماعة من العلماء، فذكروا حديث التلقين، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله)، قال: فاستحيوا من أبي زرعة وهابوه أن يلقنوه. فقالوا: تعالوا نذكر الحديث. فقال محمد بن مسلم بن وارة: حدثنا الضحاك بن مخلد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح″، وجعل يقول: ″ابن أبي″، ولم يجاوز. وقال أبو حاتم: ″حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، عن عبد الحميد بن جعفر، عن صالح″، ولم يجاوز. والباقون سكتوا، فقال أبو زرعة وهو في السَّوق: حدثنا بندار، حدثنا أبو عاصم، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن صالح بن أبي عريب، عن كثير بن مرة الحضرمي، عن معاذ بن جبل، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)

ومن هذه العلامات: الموت برشح الجبين.

حديث بريدة بن الخصيب رضي الله عنه: " أنه كان بخراسان، فعاد أخا له وهو مريض، فوجده بالموت، وإذا هو بعرق جبينه، فقال: الله أكبر، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: موت المؤمن بعرق الجبين ".
وقد ذكر العلماء تفسيرين له وكلاهما صحيح والثاني أن جبينه يعرق لما يعاني من سكرات الموت.
قال الله تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ } (ق: ١٩).
وبعد هذا: ننتقل أيها الإخوة والأخوات إلى سكرات الموت، قال الله تعالى: وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ [ق: ١٩].
ما هي السكرة؟
الشدة الذاهبة بالعقل، السكر كما قال الراغب: حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما تستعمل في الشراب المسكر، ويطلق، يعني: السكر في الغضب، فيقال: أسكره الغضب، والعشق، أسكره العشق، والألم والنعاس، والغشي الناشئ عن الألم؛ قال: وهو المراد هنا، يعني: سكرات الموت، الغشي الناشئ عن الألم؛ لأن سحب الروح؛ نزول الموت في شده، ووطئه، وألم.
هذه الشدة، والوطئه، والألم عند نزع الروح، وعند نزول الموت، هذه تجعل الواحد في سكرة، تذهب بعقله، يغيب: وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ [ق: ١٩].
بماذا جاءت سكرة الموت؟ بأي شيء جاءت سكرة الموت؟ جاءت بالحق الذي لا محيد عنه، الانتقال من هذه الحياة لا بد، الرحيل الرحيل.

بلا شك أن النبي -عليه الصلاة والسلام- عانى من سكرات الموت، بلا شك أنها كانت شديدة عليه، فعن عائشة، قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يموت وعنده قدح فيه ماء، فيدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول «اللهم أعني على سكرات الموت»
ولذلك تقول عائشة رضي الله عنها: "ما أغبط أحداً بهون موت، بعد الذي رأيته من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم] ."سنن الترمذي: ٣٠٩/٣، رقم: ٣٠٩.[
إذًا، الشدة التي يعاني منها المحتضر؟ إن كان مؤمنًا هذا خير له، رفع درجات، زيادة في حسنات، تكفير سيئات، وهذا لا يتنافى مع كون روحه تخرج كما تخرج القطرة من في السقا بسهولة؛ لأن الشدة هذه يمكن أن تتبعها هذه الراحة، فيكون أول نزوله شدة، ووطأة وثقل، خير للمؤمن، ثم يعقبها راحة تامة عند خروج الروح.
أما الكافر تأتيه الشدة، ثم تتصاعد، تتصاعد، تتصاعد، ولا يهون الأمر عليه أبدًا، ولا يرتاح.
ومن هذه العلامات الموت ليلة الجمعة أو نهارها.
قال صلى الله عليه وسلم: " ما من مسلم يموت يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، إلا وقاه الله فتنة القبر ".
أما فتنة القبر، فهي سؤال الملكين له، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار، قد أبدلك الله به مقعدا من الجنة، فيراهما جميعا، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس فيقال: لا دريت ولا تليت، ويضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين.
وفتنة القبر لا ينجو منها إلا الشهيد والمرابط الذي يحرس ثغرا من ثغور الإسلام إذا مات في حال الرباط.
فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم :ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال :كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة .رواه النسائي وصححه الألباني.
وقال صلى الله عليه وسلم أيضا :رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله وأجري عليه رزقه وَأَمِنَ الْفَتَّانَ، رواه مسلم.
وأما ضم من مات يوم الجمعة وليلتها لهما لشرف يوم الجمعة وفضله فيوم الجمعة لا تسجر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار فيه ما يعمل في سائر الأيام، فإذا قبض الله عبدا من عبيده فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلا لسعادته وحسن مآبه.
ومن علامات حسن الخاتمة الموت بعلة مخصوصة:
عن جابر بن عتيك مرفوعا: " الشهداء سبعة سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والحرق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة " وفي حديث آخر: (يجرها ولدها بسرره إلى الجنة).
الخطبة الأولى
ومن علامات حسن الخاتمة التوفيق لعمل صالح قبل موته:
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا أراد الله بعبد خيرا، عسله "، قيل: وما عسله؟ قال: " يفتح الله له عملا صالحا قبل موته، ثم يقبضه عليه ".
كأنه شبه ما رزقه الله تعالى من العمل الصالح الذي طاب به ذكره بين قومه بالعسل الذي يجعل في الطعام، فيحلوا به ويطيب.
عن جابر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من مات على شيء بعثه الله عليه ".
قوله صلى الله عليه وسلم " من قال: لا إله إلا الله: " من قال: لا إله إلا الله ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن صام يوما ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة، ومن تصدق بصدقة ابتغاء وجه الله ختم له بها دخل الجنة ".
أحوال المحتضرين عند الموت:
- قاسم أمين الذي نادى بتحرير المرأة العربية من قيود الشريعة الاسلامية و نادي بخلع البرقع و الحجاب فقد مات و هو بين فتاتين رومانيتين إثر سكتة قلبية مفاجئة.
- ماركس .. ذلك الملحد الذي قضى حياته ينادي أنه لا إله و لا رب للكون، و هو في سكرات الموت وجده تلاميذه يحملق بعينيه للسماء و يشهق و يقول: يا إلهي، و يستغيث !
أما أهل الحق فمواقفهم كثيرة ومنها :
- عامر بن عبد الله بن الزبير الذي اشترى نفسه من الله ست مرات فكان يتصدق في كل مرة بديته لما كان على فراش الموت و أهله حوله يبكون فبينما هو يصارع الموت سمع المؤذن ينادي لصلاة المغرب و قد أشتدت عليه السكرات فلما سمع الأذان قال لمن حوله:
خذوا بيدي!!
قالوا: إلى أين ؟
قال: إلى المسجد ..قالوا: و أنت
على هذه الحال !!
قال: سبحان الله أأسمع منادي الصلاة و لا أجيبه خذوا بيدي فحملوه بين رجلين فصلى ركعة مع الإمام ثمّ مات في سجوده.
ربعي بن خراش الذي عاحد الله ألا يراه ضاحكا في هذه الدنيا فتبسم على مغسله انتهت الدنيا بأحزانها وأقبلت بسرورها والجزاء من جنس العمل.

إبراهيم بن هانئ لما حضرته الوفاة وكان صائما متطوعا وهو عطشان من الصيام ، فجعل يقول لابنه أنا عطشان فجاءه بماء فقال أرفع الستر هل غابت الشمس؟ قال: لا، قال: فرده، فقال له: يا أبت رخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوع، قال: أمهل، ثم قال: لمثل هذا فليعمل العاملون، ثم خرجت نفسه"

أبو جعفر القاريء أحد الأئمة العشرة في القراءات قال نافع: لما غسل أبو جعفر نظروا إلى ما بين نحره إلى فؤاده كورقة المصحف فما شك من حضره أنه نور القرآن.

وهذا السيد عامر شيخ القراء بمجمع الملك فهد للمصحف الشريف فقد حباله الصوتية قبل أن يموت بسبع سنوات فلما مرض مرض الموت وأدخل المستشفى سمعوه وهو يقرأ القرآن من الفاتحة للناس في ثلاث أيام متواصلة بصوت مرتفع ثم مات.